اقتناص الفرص في منظور الإسلام

ملخص البحث

يحرص ديننا الإسلامي الحنيف على تربية المجتمع على اقتناص فرص الحياة، وعمارتها وفق مبادئ سليمة، يشارك فيها أفراد المجتمع بإيجابية، وبحسب إمكاناتهم وقدراتهم، وهذا البحث يهدف إلى بيان المراد من الفرص وكيفية انتهازها ،وبيان أهمية اقتناصها في الإسلام، وذلك من خلال الآيات الواردة في نصوص الوحي من القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار الصحابة والصالحين من سلف الأمة، وقد ظهر بجلاء من خلال هذه الآثار وجوب المبادرة إلى اغتنام الفرص في تحصيل رضوان الله تعالى، والتحذير من تفويتها، حيث برز في سياق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية توبيخ من لم يبادر لاغتنام فرصة الحياة ،وأن عواقب التهاون بها وخيمة ذات أثر سلبي على الفرد والمجتمع وقد رغب الإسلام في اغتنام فرص الحياة مهما كانت صغيرة في نظر الفرد، وتظاهرت في ذلك النصوص الشرعية وأقوال السلف رحمهم الله وقد حرصت في هذا البحث أن أبرز أهم مجالين من المجالات التي ينبغي أن تقتنص فيها الفرص لكثرة النصوص فيها وهما: طلب رضوان الله تعالى وجنته واعتبار الدنيا مزرعة للآخرة، كما أن المجال الثاني جاء ليوضح مكانة اغتنام الفرص في مجال الدعوة إلى الله تعالى والتعليم والتربية، تأسياً بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم..

نسأل الله أن يكتب لهذا البحث القبول، وأن ينفع به ويجعله خالصاً لوجه الكريم..

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين...

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد..

لقد وهبنا الله تعالى الحياة الدنيا، وبين لنا في كتابه الكريم في أكثر من موضع حقارتها وزوالها، وأن حياتنا فيها محدودة تنتهي بالموت والانتقال إلى الدار الآخرة، ولقد كرمنا الله تعالى بأن سخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، وأرسل إلينا الرسل وأنزل علينا الكتب، وأقام علينا الحجة، وجاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تحثنا على اغتنام فرصة هذه الحياة، بما هو نافع للدنيا والآخرة وفق ضوابط هذا الشرع الحنيف، فكان من الناس في هذا الأمر الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات، ويأتي هذا البحث ليبين أهمية الحياة بالنسبة للإنسان وكيف يستفيد من فرصها لبناء الدنيا والآخرة، ويشارك في بنائها والإفادة منها بإيجابية ترشده نصوص الوحي، إلى ما به عزه في الدنيا وخلاصه في الآخرة.

• أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا الموضوع فيما يأتي:

١- أن نجاح الإنسان في هذه الحياة مرتبط باغتنامه للفرص الحقيقية فيها.

٢- غفلة الكثير من الناس عن الفرص التي لا تعوض كالشباب والغنى والحياة والصحة والفراغ وهذه الفرص إذا ذهبت لا تعود.

٣- بيان أن الفرد مطالب ببناء الدنيا وعمارتها وفق ضوابط الشرع وأن الفرصة الحقيقية في الحياة هي العمل للآخرة فالدنيا مزرعة للآخرة.

٤- إبراز المجالات المهمة التي ينبغي أن تقطع في اغتنامها نفائس الأوقات.

٥- إظهار مكانة الإسلام في حرصه على جميع الفرص بحيث لا يحتقر فيها شيء.

• أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:-

١- بيان المراد من اقتناص الفرص وانتهازها ومكانة ذلك في الإسلام.

٢- عرض أبرز نصوص الوحى ودلالاتها التي تحث على اقتناص الفرص في الحياة.

٣- إبراز أهم مجالات الحياة التي ينبغي أن تقتنص فيها الفرص وتقطع فيها نفائس الأوقات.

• منهج البحث:

لقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي نظراً لطبيعة البحث، حيث جمعت أشهر النصوص التي تحث على اغتنام الفرص في الحياة، من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وعرضت دلالتها، وأبرزت مجالاتها وآثارها وفق مناهج البحث المعتمدة في الدراسات الإنسانية، من عزو الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية والإحالة إلى المراجع الأصلية وبيان الكلمات الغريبة، وفق منهج أكاديمي سليم.

• الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي لم أجد – حسب علمي – من أفرد هذا الموضوع بدراسة مستقلة مستوعبة لمفرداته، وما وجدته في هذا الموضوع هو عبارة عن مقالات مطولة منثورة في بطون المطولات ومواقع الانترنت.

- **خطة البحث:**

اقتضت خطة هذا البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة وفيها: (ملخص البحث – أهمية البحث وأسباب اختياره – منهج البحث – الدراسات السابقة – خطة البحث).

التمهيد وفيه:

أولاً: تعريف مصطلحات البحث ومرادفاته.

ثانياً: أهمية اقتناص الفرص ومكانتها في الإسلام.

المبحث الأول: الآثار الواردة في اقتناص الفرص ودلالتها وفيه مطلبان.

المطلب الأول: الآثار من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الآثار من السنة النبوية وأقوال السلف.

المبحث الثاني: مجالات اقتناص الفرص في الشريعة الإسلامية: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طلب رضوان الله تعالى و الجنة.

المطلب الثاني: الدعوة والتعليم والتربية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

يلي الخاتمة فهرس المصادر والمراجع والمحتويات.

وفي الختام أرجوا أن أكون قد وفقت في عرض مفردات هذا البحث، وكلي أمل ورجاء أن ينفع الله به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

التمهيد:-

أولاً: تعريف مصطلحات البحث ومرادفاته:

أ) الاقتناص:

الاقتناص في اللغة : من قنص، والقاف والنون والصاد كلمة واحدة تدل على الصيد فقط[١]، والقانص هو الصائد، والقنص: هو الصيد[٢].

وهو في الاصطلاح : أخذ الصيد، ويشَّبه به أخذ كل شيء بسرعة[٣].

ب) الفرص:

الفرص في اللغة: جمع فرصة، والفاء والراء والصاد أصل صحيح يدل على اقتطاع شيء عن شيء، والفرصة : هي القطعة من الصوف أو القطن[٤].

ومنه قولهم افترص الفرصة، أي اغتنمها، وأفرصت الفرصة فلاناً: أي امكنته[٥].

والفرصة: هي النهزة، يقال: وجد فلان فرصة، وانتهز فلان الفرصة أي فاز بها[٦].

ومعناها الاصطلاحي قريبٌ من المعنى اللغوي، فالفرصة: هي النهزة[٧].

ج) الانتهاز:

الانتهازية من انتهز الشيء: أي دفعه وضربه، وانتهز فلانٌ الحق: أي قبله وأسرع إلى تناوله، وانتهز الشيء: تناوله من قرب وبادره واغتنمه[٨].

والانتهازية/ مصدر صناعي ومعناه: اغتنام الفرص واستغلال جميع الوسائل لتأمين المصالح الشخصية[٩].

---

[١] - انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٢/٥).
[٢] - انظر: مختار الصحاح (٢٣٠/١).
[٣] - انظر: التعاريف (٨٣/١)، الكليات (١٦٠/١).
[٤] - انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٨٨/٤).
[٥] - انظر: المعجم الوسيط (٦٨٢/٢).
[٦] - انظر: مختار الصحاح (٢٠٩/١).
[٧] - انظر: لسان العرب (٦٤/٧).
[٨] - انظر: المصدر نفسه (٤٢١/٥).
[٩] - انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٨٥/١).

والفرق بين انتهاز الفرص واقتناص الفرص: أن الانتهاز هو خطة وسياسة تقوم على استغلال الظروف للكسب والمنفعة ولو اقتضى ذلك التساهل في المبادئ.

بينما يطلق اقتناص الفرص أو اغتنامها على سرعة الإفادة من الفرصة وفق المبادئ المنظمة لها.

ثانياً: أهمية اقتناص الفرص ومكانتها في الإسلام:

حث الإسلام الحنيف على اغتنام فرص الحياة والإفادة منها، فقد امتدح الله تعالى المؤمنين الذين أفادوا من حياتهم الدنيا، واغتنموا فيها أوقاتهم، فعمرو الدنيا والآخرة بكل ما هو نافع ومفيد

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [١٠]

والمعنى: أي كلو من ثمار الجنة، واشربوا من شرابها هنيئاً طيباً بلا داء، ويقال حلال لا أتم فيه بما عملتم وقدمتم في أيام الدنيا، ويقال بما عملتم من الأعمال الصالحة، في الأيام الماضية يعني في الدنيا[١١]، وقال السعدي: بما أسلفتم في الأيام الخالية من الأعمال الصالحة، من صلاة وصيام وصدقة وحج وإحسان إلى الخلق، وذكر لله وإنابة إليه، وترك الأعمال السيئة، فالأعمال جعلها الله سبباً لدخول الجنة ومادة لنعيمها وأصلاً لسعادتها[١٢].

ذم الله تعالى الكافرين، حيث أعطاهم الحياة الدنيا، فلم يفيدوا منها ما ينقذهم من عذاب الله تعالى، بعد أن قطع الله عليهم الحجة والعذر بإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال الله تعالى عنهم:

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [١٣].

إن العمر وزمن الحياة حجة على الإنسان كالرسالة والنذارة بدلالة هذه الآية، فقد جعل الله في الآية التعمير وهو انشغال العمر موجباً للتذكير والتأمل ومهلة

---

[١٠] - سورة الحاقة (آية: ٢٤)
[١١] - تفسير السمرقندي (٤٦٨/٣).
[١٢] - تفسير السعدي (٨٨٣/١).
[١٣] - سورة فاطر (أية: ٣٧).

للعمل، كما تخبر إنساناً بأمر ثم تمهله إلى أن يفعل ما أمر به فهو أمكن في الحجة عليه[١٤].

ودلالة هاتين الآيتين ظاهرة في أن الله تعالى أعطى فرصة في هذه الحياة للخلق جميعاً مؤمنهم وكافرهم، إلا أن المؤمن ابتدر فرصة الحياة، وحافظ عليها، بينما خسرها الكافر، مع أن الله قد أقام عليهم جميعاً الحجة، وسيأتي في المبحث الأول من هذا البحث الأدلة من نصوص الوحي التي تبين ذلك.

فدين الإسلام يحرص على اغتنام فرص الحياة إلى آخر لحظات العمر.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليغرسها"[١٥].

[١٤] - أضواء البيان (٤٤٥/٨) يتصرف.
[١٥] - مسند الإمام أحمد (١٩١/٣)، برقم (١٣٠٠٤)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند (٢٥١/٢٠)

المبحث الأول

الآثار الواردة في اقتناص الفرص ودلالتها

المطلب الأول

الآثار من القرآن الكريم

من يمعن النظر في آيات القرآن الكريم يجد أن العديد من الآيات تحث على اغتنام فرص الحياة في كل ما هو نافع في الدارين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [١٦].

ففي الآية تخويف وتهديد: أي إن عملكم لا يخفى على الله تعالى، ولا على رسوله، ولا على المؤمنين، فسارعوا إلى أعمال الخير، وأخلصوا أعمالكم لله عزوجل، وفيه أيضاً ترغيب وتنشيط، فإن من علم أن عمله لا يخفى سواءً كان خيراً أو شراً رغب إلى أعمال الخير وتجنب أعمال الشر[١٧].

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على اقتناص الفرص والحفاظ عليها، وتحذر من تفويت الفرص، والتي عاقبتها الندامة الكبرى في الدنيا والآخرة، ومنها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [١٨]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ [١٩]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤﴾ [٢٠].

---

[١٦] - سورة التوبة (آية: ١٠٥).
[١٧] - فتح القدير (٤٥/٢).
[١٨] - سورة المنافقين (الآيات:٩-١١).
[١٩] - سورة النساء (آية: ١٨).
[٢٠] - سورة غافر (آية: ٨٤).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾ [٢١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [٢٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [٢٣]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [٢٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [٢٥]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [٢٦].

وغيرها من الآيات، ودلالة هذه الآيات ظاهرة على أن هؤلاء فاتتهم فرصة الحياة، وتنبهوا لها عند حضور الموت، وطلبوا التوبة والإنابة والندم على ما فاتهم.

فهم يسألون الرجعة، لا يجابون عند حضور الموت ويوم النشور، ووقت عرضهم على الله تعالى ووقت عرضهم على النار[٢٧]، فقد طلبوا العودة للاستدراك ولكنه قد فات الأوان.

وذهبت الفرصة، فلا تقال عندها العثرات ولا تنفع المعذرة، فدلالة الآيات ظاهرة في عدم ردهم إلى الدنيا مرة أخرى، وعلى أنه قد حل بهم العذاب ولا محيص عنه.

---

[٢١] - سورة الشورى (آية: ٤٤).
[٢٢] - سورة إبراهيم (آية: ٤٤)
[٢٣] - سورة الأنعام (آية: ٢٧).
[٢٤] - سورة السجدة (آية:١٢).
[٢٥] - سورة فاطر (آية: ٣٧).
[٢٦] - سورة غافر (آية: ١١).
[٢٧] - أضواء البيان (٣٥٤/٥).

وفي سنن الترمذي: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أحدٍ يموت إلا ندم، قالوا وما ندامته يا رسول الله، قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع"[٢٨].

قال ابن عباس : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو يجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله، إنما يسأل الرجعة الكفار فتلى عليه قوله تعالى :﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾[٢٩].

فمن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات، فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات ويطلب الكرة وهيهات، وحيل بينه وبين ذلك، وعظمت حسراته حين لا مدفع للحسرات، ولقد حثنا الله تعالى أعظم الحث ودعانا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة.[٣٠]

كما تحدث القرآن الكريم في آيات عديدة تحث على المبادرة والمسارعة والمسابقة فمنها قوله تعالى:﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾[٣١]، وقوله تعالى:﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾[٣٢].

وقوله تعالى:﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ﴾[٣٣]، وقوله تعالى:﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٤٨﴾[٣٤]، وقوله تعالى:﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾[٣٥].

---

[٢٨] - سنن الترمذي – باب اغتنام العمر برقم (٢٤٠٣) (٧١/٧) من تحفة الأحوذي وضعفه الالباني في ضعيف الترغيب والترهيب برقم (١٩٦٠).
[٢٩] - سورة المنافقون (آية: ١٠). انظر: الدار المنثور (١٧٩/٨).
[٣٠] - انظر: معارج القبول (٧١٢/٢).
[٣١] - سورة الانبياء (آية: ٩٠).
[٣٢] - سورة آل عمران (آية: ١٣٣).
[٣٣] - سورة الحديد (آية: ٢١).
[٣٤] - سورة البقرة (آية: ١٤٨).
[٣٥] - سورة الواقعة (آية: ١٠، ١١).

ودلالة هذه الآيات ظاهرة من سياقها فهي تدل على وجوب المبادرة إلى امتثال أوامر الله تعالى[٣٦].

قال ابن كثير: "فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى فعل الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة فإن الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان"[٣٧].

والمسارعة في الشيء والمبادرة في تحصيله والتحلي به، تقتضي جلالة ما سورع فيه، وأنه من النفاسة والعظمة بحيث يتسابق فيه[٣٨].

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على توبيخ من لم يبادر، وتخويفهم أن يدركهم الموت قبل أن يمتثل، لأنه قد يكون أقترب أجله وهو لا يدري.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٤٠].

ويتضح مما سبق من سياق الآيات القرآنية الواردة في هذا المطلب ما يلي:

١- الحث على اقتناص فرص الحياة، والعمل فيها في كل ما هو نافعٌ في الدنيا والآخرة.

٢- تحذير القرآن الكريم من تفويت الفرص في الحياة والتي عاقبتها الندامة الكبرى في الدنيا والآخرة.

٣- وجوب المبادرة والمسارعة والمسابقة إلى اغتنام الفرص وتحصيل رضوان الله تعالى.

٤- توبيخ من لم يبادر وبيان أن عواقب التهاون وخيمة.

---

[٣٦] - انظر: أضواء البيان (٣٣٢/٤).
[٣٧] - تفسير ابن كثير (٢٨٤/٤).
[٣٨] - انظر: البحر المحيط (١٣٠/٣).
[٣٩] - سورة النور (آية: ٦٣).
[٤٠] - سورة الأحزاب (آية: ٣٦).

المطلب الثاني

الآثار من السنة النبوية وأقوال السلف

ثبت في السنة النبوية العديد من النصوص الصريحة، التي تحذر من اغتنام فرص الدنيا الزائلة والمتزامنة مع اهمال فرص الآخرة الباقية، وسأذكر في هذا المطلب أشهر ما ورد في السنة النبوية وأقوال السلف والتي تدل بمجموعها على أهمية اقتناص فرص الحياة فمنها:

أولاً: الآثار من السنة النبوية:

١- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"[٤١].

ومعنى الحديث: أن هذه الخمس أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة، هي أيام التأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها، ولا ينفعه التمني للأعمال بعد التفريط فيه والإهمال في زمن الفرصة والإمهال، فإن بعد كل شباب هرماً، وبعد كل صحة سقماً، وبعد كل غنىً فقراً، وبعد كل فراغ شغلاً، وبعد كل حياةٍ موتاً[٤٢].

وهذا الحديث يدل دلالة ظاهرة على وجوب اغتنام الفرص لهذه النعم، فإن الفرصة تمر مر السحاب، وقد قيل انتهز الفرصة قبل أن تعود غصة، والفرصة إذا لم يخطأك نفعها لم يصبك ضرها[٤٣].

وفي معنى هذا الحديث أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: "ليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار"[٤٤].

---

[٤١] - المستدرك على الصحيحين برقم (٧٨٤٦)، (٣٤١/٤)، عن ابن عباس، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
[٤٢] - انظر: معارج القبول (٧١٢/٢).
[٤٣] - انظر: محاضرات الأدباء (٤٢/١).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل"[٤٥].

قال النووي في معنى الحديث: (في الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المعتم..)[٤٦].

وفي رواية أبي داوود في وصف هذه الفتن: "القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، فكسروا قسيتكم،[٤٧] وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دُخل على أحد منكم فليكن كخيري ابني آدم"[٤٨].

٣- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "نعمتان مغبون فيها كثيرٌ من الناس الصحة والفراغ"[٤٩].

قال ابن بطال: (معنى الحديث: أن المرأ لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص على ان لا يُغبن بأن يترك شكر الله على ما انعم عليه)[٥٠].

قال ابن حجر: (فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط،[٥١] ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم)[٥٢].

ويظهر من هذا الحديث وسابقيه أن هذه الفرص لا تعوض، فالصحة والفراغ والشباب والغنى والحياة والسلامة من الفتن فرص يجب اقتناصها وعدم التساهل فيها، لأنها لا تعوض إذا ذهبت.

---

[٤٤] - مسند الشهاب برقم (٧٣٠) (٤٢٥/١) عن عائشة رضي الله عنها.
[٤٥] - مسلم: الصحيح – باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن برقم (١١٨) (١١٠/١).
[٤٦] - شرح صحيح مسلم (١٣٣/٢).
[٤٧] - القسي جمع قوس وهو ما يعد للرمي، انظر: لسان العرب (١٨٧/٦).
[٤٨] - سنن ابي داوود – باب النهي عن السعي في الفتنة، برقم (٤٢٥٩) (١٠٠/٤) ، وصححه الالباني في صحيح سنن أبي داوود
[٤٩] - صحيح البخاري – باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، برقم (٦٠٤٩) (٢٣٥٧/٥).
[٥٠] - فتح الباري (٢٣٠/١١).
[٥١] - المغبوط: من الغبطة وهي حسن الحال، انظر: مختار الصحاح (١٩٦/١).
[٥٢] - فتح الباري (٢٣٠/١١).

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يدخل الجنة من أمتى زمرة، هي سبعون ألفاً، تضيئ وجوههم إضاءة القمر، فقام عكاشة بن محض الأسدي يرفع نمرة[٥٣] فقال ادع الله لي يا رسول الله، أن يجعلني منهم، فقال اللهم اجعله منهم، ثم قام رجلٌ من الأنصار فقال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبقك عكاشة"[٥٤].

ووجه الدلالة في الحديث ظاهرٌ وهو أن عكاشة بن محض رضي الله عنه اقتنص الفرصة ففاز بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم له، وتبشير النبي صلى الله عليه وسلم أنه من السبعين الألف الذين يضيء وجوههم إضاءة القمر، وأنه من الزمرة الذين يدخلون الجنة بغير حساب، كما جاء في الرواية الثانية.

فالبشارة بتلك المنزلة كانت قد سبقت لواحدٍ ذي نصيب، فبادر إليها عكاشة بن محض ففاز بها[٥٥].

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسو الله صلى الله عليه وسلم "بادروا بالعمل ستاً، الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة، وخويصة[٥٦] أحدكم"[٥٧].

والمعنى: أي اعملوا الصالحات، واشتغلوا بها قبل مجي هذه الست التي تشغلكم عنها[٥٨]، قال القرطبي: ومقصود هذا الحديث الحض على اغتنام الفرصة والاجتهاد في أعمال الخير والبر عند التمكن قبل هجوم الموانع[٥٩].

٦- عن حكيم بن عمير رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من فتح له بابٌ من الخير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه"[٦٠].

---

[٥٣] - النمرة: هي البردة من الصوف تلبسها الأعراب، انظر: مختار الصحاح (٢٨٣/١).
[٥٤] - صحيح البخاري – باب البرود والنمرة – برقم (٥٤٧٤)، (٢١٨٩/٥).
[٥٥] - انظر: فيض الباري شرح البخاري (٦٧/٤).
[٥٦] - خويصة أحدكم قيل انها الموت التي تخص كل انسان ، انظر: حاشية السندي على ابن ماجه (ص:٥٠٢).
[٥٧] - صحيح ابن حبان – باب المبادرة بالأعمال الصالحة قبل خروج المسيح برقم (٦٧٩٠) (١٩٩/١٥)، وأصله في مسلم برقم (٢٩٤٧) (٢٢٦٧/٤)، باب بقية من أحاديث الدجال.
[٥٨] - حاشية السندي على ابن ماجة (ص:٥٠٢).
[٥٩] - المفهم لما أشكل من صحيح مسلم (٨٩/٢).
[٦٠] - مسند الشهاب – باب من فتح له باب من الخير فلينتهزه برقم (٤٣٥)، وهو أيضاً عن حمزة بن حبيب

٧- عن أبن عباس رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم "تعجلوا إلى الحج يعني الفريضة فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له"[٦١].

وفي رواية البيهقي "عجلوا الخروج إلى مكة فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له من مرض أو حاجة"[٦٢].

وفي سنن ابن ماجة "من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة"[٦٣].

ووجه الدلالة من الأحاديث ظاهرة في وجوب التعجيل إلى الحج والمبادرة إلى اغتنام الفرصة قبل أن تفوته بأحد الشواغل من المرض أو الحاجة أو الضالة وما يلحق بها.

٨- عن عمران بن حصين رضي اله عنه قال: "جاء نفر من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام يا بني تميم إقبلوا البشرى، فقالوا بشرتنا فأعطنا، فتغير وجهه عليه الصلاة والسلام، فجاءه أهل اليمن فقال: يا أهل اليمن إقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قبلنا....الحديث"[٦٤].

قال ابن حجر: "أي اقبلوا مني ما يقتضي أن تبشروا إذا أخذتم به الجنة، كالفقه في الدين والعمل به"[٦٥].

ودلالة الحديث ظاهرة فقد أقتنص الفرصة أهل اليمن، وقبلوا ببشارة النبي صلى الله عليه وسلم، وأهملها بنو تميم ففاتتهم، وهذا من توفيق الله تعالى لأهل اليمن، فبُشروا بما يسرهم من العلم والعمل في الدنيا، والجنة في الآخرة إن شاء الله تعالى.

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة وهي بحاجة إلى عناية الباحثين لاستيعابها ودراستها دراسة فاحصة متخصصة في علوم الحديث.

---

[٦١] - مسند أحمد – برقم (٢٨٦٩) (٣١٣/١)، وحسنه الالباني في إرواء الغليل برقم (٩٩٠)

[٦٢] - سنن البيهقي – باب ما يستحب من تعجيل الحج إذا قدر عليه وفيه من أراد الحج فليتعجل برقم (٨٤٧٧) (٣٤٠/٤)، وضعفه النووي في شرح المهذب (١٠٢/٧).

[٦٣] - سنن ابن ماجة – باب الخروج إلى الحج برقم (٢٨٨٣) (٩٦٢/٢) ، وحسنه الالباني في صحيح سنن ابن ماجة .

[٦٤] - صحيح البخاري – باب ما جاء في قوله تعالى "وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده" – برقم (٣٠١٨) (١١٦٥/٣).

[٦٥] - فتح الباري (٢٨٨/٦).

ثانياً: من أقوال السلف في اقتناص الفرص:

قال خالد بن معدان "إذا فتح لأحدكم باب خير فليسرع إليه فإنه لا يدري متي يغلق عنه"[٦٦].

وقال عبدالرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة: "لو قيل لحماد بن سلمة أنك تموت غداً ما قدر على أن يزيد من العمل شيئاً"[٦٧]، يعنى أنه قد اغتنم جميع الفرص وليس محتاجاً لمزيد من ما هو عليه.

وعن جعفر الصادق – رحمه الله تعالى – قال: "إذا هم أحدكم بخير أوصله، فإن عن يمينه وشماله شيطانين فليبادر لا يكفاه عن ذلك"[٦٨].

وقال عمر بن عبدالعزيز: "إن الليل والنار يعملان فيك فاعمل فيهما"[٦٩]

وقال ابن مسعود – رضي الله عنه: "ما ندمت على شيئ ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي"[٧٠].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة"[٧١].

وقال معاوية بن قرة - ليس تحسرا أهل الجنة، إلا على ساعة مرة بهم لم يذكروا الله عزوجل فيها.[٧٢]

وقد قيل:

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون[٧٣]

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: "من القوة أن لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد"[٧٤].

وقال معاوية بن قرة: "أكثر الناس حساباً يوم القيامة الصحيح الفارغ"[٧٥].

---

[٦٦] - حلية الأولياء (٢١١/٥).
[٦٧] - سير أعلام النبلاء (٤٤٧/٧).
[٦٨] - الكافي للكليني (١٤٣/٢).
[٦٩] - انظر مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (٨٥/١).
[٧٠] - المصدر نفسة (٢٩/٣).
[٧١] - حلية الأولياء (٦٧/١).
[٧٢] - الوابل الصيب (ص: ٥٩).
[٧٣] - أدب الدنيا والدين (٢٤٩/١).
[٧٤] - اقتضاء العلم العمل (ص:١٠٣).

وقال المناوي: "من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمدٍ حصله أو خيرٍ أسسه، أو علم اقتبسة، فقد عق يومه وظلم نفسه"[٧٦].

وقال ابن حجر: "إني لأتعجب ممن يجلس خالياً عن الاشتغال"[٧٧].

وقال ابن هيرة عن اغتنام الوقت:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع[٧٨]

ومما سبق من أقوال السلف رحمهم الله تعالى، يتبين أن الحياة فرصٌ والوقت ثمين، وأن وقت الإنسان هو عمره، وهو موضع حياته السعيدة أو معيشته الضنكة، وعمر الإنسان هو فرصته الحقيقية في الحياة، وقد قيل قديماً: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، والمعنى إن لم تستخدمه بالعمل المبرور والسعي المشكور، قطعك بالذل والخسران والهوان، والله المستعان.

فعلى المسلم أن يتهيأ لاقتناص الفرص بتدريب نفسه وتعويدها، والاهتمام بمعرفتها، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً[٧٩]، وعليه أيضاً أن يصنع الفرصة ولا ينتظرها، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[٨٠].

قال الألوسي رحمه الله تعالى: "وسعى لها سعيها اللائق بها، وهو السعي على سبيل الاستقامة، وما ترتضيه الشريعة، وقال بعضهم: السعي إلى الدنيا بالأبدان والسعي إلى الآخرة بالقلوب، والسعي إلى الله تعالى بالهمم".[٨١]

---

[٧٥] - المصدر نفسه (ص: ١٠٣).
[٧٦] - فيض القدير (٢٨/٦).
[٧٧] - الجواهر والدرر (١٧٠/١).
[٧٨] - ذيل طبقات الحنابلة (٢٨١/١).
[٧٩] - المعجم الأوسط للطبراني برقم (٢٨٥٦) عن محمد بن مسلمة.
[٨٠] - سورة الإسراء (آية: ١٩).
[٨١] - روح المعاني (٥٢/١٥).

المبحث الثاني

مجالات اقتناص الفرص في الشريعة الإسلامية

المجالات التي ينبغي أن تقتنص فيها الفرص كثيرة وأهم ما سنعرضه في هذا المبحث مجالين فقط لتظافر النصوص الشرعية فيها وأهميتها بالنسبة للمسلم على النحو التالي:

المطلب الأول

طلب رضوان الله تعالى والجنة

سبق في المبحث الأول أن سردنا مجموعة من النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار الصحابة والسلف رحمهم الله تعالى، والتي تدل على أهمية اقتناص الفرص والعمل بما هو نافع في الدنيا والآخرة، والحث علي وجوب المبادرة في تحصيل رضوان الله تعالى، والتحذير من تفويت الفرص، وأن عاقبتها الندامة، وسأقتصر في هذا المبحث على إيراد أهم النصوص التي تدل على اقتناص الفرصة في رضوان الله تعالى وإظهار دلالتها في النماذج التالية:

١- عن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: "جاء عثمان بن عفان – رضي الله عنه - إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم – مرتين"[٨٢].

أي ليس عليه ولا يضره الذي يعمل في جميع عمره بعد هذه الحسنة، والمعنى أنها مكفرة لذنوبه الماضية، وفيه إشارة إلى بشارة له بحسن الخاتمة.[٨٣]

فقد اقتنص الفرصة رضي الله عنه واستدبر الدنيا، وصب المال بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم صباً، فحاز على وسام ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم.

2- عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – الحديث وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله بعثني اليكم فقلتم كذبت، وقال أبوبكر الصديق صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي مرتين فما أوذي بعدها"[٨٤]، ووجه الدلالة فيه ظاهرة حيث أن سابقيه أبي بكر للإسلام وتصديقه بالنبي صلى الله عليه وسلم كانت فرصة اقتنصها فكان أول من أسلم وواسي النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله، وما ذاك الا أن الله تعالى وفقه لاقتناص هذه الفرصة وسدده لقبول الحق فصارت محمدة له عبر الأجيال حيث ثبتت صحبته بلسان الوحي في

[٨٢] - سنن الترمذي – باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه برقم (٣٧٠١) (٦٢٦/٥)، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.
[٨٣] - تحفة الأحوذي (١٣٢/١٠).
[٨٤] - صحيح البخاري – كتاب المناقب – برقم (٣٤١١).

هذا الحديث الصحيح، وأكدها القرآن الكريم في حادثة الهجرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [٨٥]، وفضائل الصديق كثيرة وليس هذا موضع بسطها.

والآثار التي تدل على أن كل فرص الحياة مهمة ومغنم لا يجوز التهاون بها أو إهمالها عديدة ومن أهمها:

- ❖ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق"[٨٦].

قال النووي: "في الحديث الحث على فضل المعروف وما تيسر منه وإن قل حتى طلاقة الوجه عند اللقاء"[٨٧].

- ❖ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"[٨٨].

وقد دل الحديث على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك فرصة أو مناسبة لتحذير أمته من النار إلا حذرها وأنذرها، والظاهر من الحديث الأمر باتخاذ ما يقي من النار ولو كان يسيراً كنصف التمرة.

قال ابن حجر: "في الحديث الحث على الصدقة بما قل وبما جل، وأن لا يحتقر ما يتصدق به وأن اليسير من الصدقة يقي المتصدق من النار"[٨٩].

- ❖ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم"[٩٠].

---

[٨٥] - سورة التوبة (آية: ٤٠).
[٨٦] - صحيح مسلم – باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء – برقم (٢٦٢٦) (٢٠٢٦/٤).
[٨٧] - شرح صحيح مسلم (١٧٧/١٦).
[٨٨] - صحيح البخاري – باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة – برقم (١٣٤٧) (٥١٢/٢).
[٨٩] - فتح الباري (٢٨٤/٣).

ويظهر مما سبق أن الإسلام لم يترك فرصة من حقها أن تغتنم إلا وحث عليها ورغب بها، ورتب الأجور العظيمة، على اغتنامها، وحذر من فواتها، ورتب الخسران والذلة والندامة على من فرط فيها، كما أن الإسلام لم يقلل من أي فرصة تؤول في نهايتها إلى تحقيق رضوان الله تعالى وجنته في الآخرة، والحكمة من خلق الإنسان في هذه الحياة، فإن الله تعالى قد شرع للعباد ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [٩١]، كما أن هذه الفرصة متنوعة بين فرص الأقوال والأفعال وما ذكرته في هذا المطلب يشمله من حيث الجملة تلك الآثار التي وردت في المبحث الأول فإنها أيضاً سهله الاقتناص لمن وفقه الله تعالى، فعلى المسلم أن يغتنم الفرصة في مواسم الطاعة والعبادة كشهر رمضان والحج والعمرة ومكة والمدينة، والأيام التي ثبتت فضيلتها بالصيام والقيام والذكر والقرآن حتى ينقذ نفسه من عذاب الله تعالى، فإن الأعمال تذهب والفرص لا تعود، ولا يرغب المسلم بحال من الأحوال أن يكون ممن يتحسر يوم القيامة على تفريطه كما أخبر الله عنهم بقوله :﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ [٩٢]، فإن الوقت لا يعود والله تعالى قد قطع عن الأمة العذر وأقام الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فالفرص ممتدة مدى الحياة ولا تنقطع عن الإنسان إلا بموته كما دلت على ذلك الآثار.

[٩٠] - صحيح البخاري – باب حفظ اللسان – برقم (٦١١٣) (٢٣٧٧/٥).
[٩١] - سورة الملك (آية: ١٤).
[٩٢] - سورة الفجر (آية: ٢٤).

المطلب الثاني

مجال الدعوة والتعليم والتربية

من مسؤولية الداعية إلى الله تعالى في حياته الدعوية، أن يأخذ بالأسباب التي توصله إلى النجاح في دعوته، من الإخلاص لله تعالى والمتابعة لنبيه عليه الصلاة والسلام، كما أنه عليه أيضاً أن يتعرف على سنن الله تعالى في خلقه، ويسعى إلى اقتناص الفرص المتاحة أمامه في مجال التربية والتعليم والدعوة، مقتدياً برسل الله عليهم الصلاة والسلام، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتنص كل فرصة مواتية لتعليم الناس هذا الدين فقد عرض نفسه على القبائل، طالباً منهم حمايته حتى يبلغ دين الله تعالى.

جاء في مسند أحمد من حديث جابر رضي الله عنه قال: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشرة سنة يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول من يؤويني من يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة"[٩٣].

فقد كان عليه الصلاة والسلام يبحث عن أي فرصة ممكنه لكي يدعوا إلى الله تعالى حتى ولو كان في أحلك الظروف، كنهج نبي الله يوسف عليه السلام، فقد انتهز الفرصة وهو في السجن عند تأويل الرؤيا ليعلم التوحيد قال تعالى عنه:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾[٩٤]، ثم بعد أن أسمعهم رسالة التوحيد، وأقام عليهم الحجة على هذه الرسالة العظيمة فسر لهم الرؤيا، ولم يكن حاله كحال الكثير من المتملمين اليوم من واجبهم في إسماع الناس الحق، ومن هداية هذه القصة وجوب اغتنام الفرص للدعوة إلى الله تعالى[٩٥].

---

[٩٣] - مسند أحمد بن حنبل – برقم (١٤٤٩٦) (٣٢٢/٣) وصححه الالباني في السلسلة برقم (٦٣)

[٩٤] - سورة يوسف (آية:٣٩، ٤٠).

[٩٥] - أيسر التفاسير (٢١٢/٢).

ويأتي في الأسطر القادمة نماذج من السنة النبوية، اقتنص فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الفرصة ليزيل جهالة، ويعدل سلوكاً، ويصحح خطأً، ويربي صغيراً، وما أكثر هذه المواقف في حياته عليه الصلاة والسلام وسأقتصر على أشهر النماذج في هذا الموضوع كما يأتي:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات؛ إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف[٩٦].

وقد وجدها النبي صلى الله عليه وسلم فرصة ليضع بعض المعالم التربوية والإيمانية لابن عباس رضي الله تعالى عنه.

٢- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبيءٌ، فإذا امرأة من السبئي وجدت صبياً من السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه طارحة ولدها في النار، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها"[٩٧].

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس وكان فيها من الحرير فعجب الناس فقال والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن"[٩٨].

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم اغتنم الفرصة لينقلهم من دار الدنيا إلى دار الآخرة، حيث بيَّن لهم مكانة سعد بن معاذ وتفوق مناديله في الجنة على

[٩٦] - سنن الترمذي باب ٥٩، برقم (٢٥١٦) (٦٦٧/٤)، وقال عنه هذا حديث حسن صحيح.
[٩٧] - صحيح البخاري – باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته برقم (٥٦٥٣) (٢٢٣٥/٥).
[٩٨] - صحيح البخاري – باب قبول الهدية من المشركين برقم (٢٤٧٣) (٩٢٢/٢).

جبة الحرير التي أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يسمى أيضاً بالتربية بالحدث.

٤- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجت مع الرسول صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، الحديث ... وفيه، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً.."[٩٩].

وقد اغتنم النبي صلى الله عليه وسلم فرصة هذا الدفن ليزهد الناس في الحياة، ويعَّلمهم الاستعاذه بالله من عذاب القبر في هذا الحدث.

٥- عن أنس رضي الله عنه: "أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله واثني عليه فقال ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج الناس، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[١٠٠].

قام النبي صلى الله عليه وسلم وخطب الناس وبيَّن منهج الإسلام في الوسطية والاعتدال في التعبد والعمل وحذر الناس من الغلو والتنطع بالعبادة وبيَّن أن من تنكب عن سنته وهديه فليس منه، وهذه الخطبة كما يظهر من مطلع الحديث كان لها سبب وحدث اغتنمه النبي صلى الله عليه وسلم لبيان منهج الله في هذه الحالة.

٦- عن عمرو بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاماً في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا غلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد"[١٠١].

وجه الدلالة في الحديث ظاهرٌ، أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد الفرصة مناسبة لتأديب هذا الغلام وتعليميه الطريقة الصحيحة في الأكل.

---

[٩٩] - سنن أبي داوود – باب المسألة في القبر وعذاب القبر - برقم (٤٧٥٣) (٢٣٩/٤)، وأصله في البخاري .
[١٠٠] - صحيح مسلم – باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه – برقم (١٤٠١) (١٠٢٠/٢).
[١٠١] - صحيح البخاري – باب التسمية على الطعام والأكل باليمين – برقم (٥٠٦١) (٢٠٥٦/٥).

فالأدلة والأمثلة على اغتنام الفرص في الدعوة إلى الله تعالى كثيرة لا تكاد تحصر، وما ذكرته هو بعض النماذج ومعتمد هذه المسألة كما يقرره علماء الأصول هي قاعدة تأخير البيان عن وقت الحاجة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وحق أمته من بعده[١٠٢].

والداعية المسدد هو من يوظف الأحداث من حوله توظيفاً صحيحاً، ويبين منهج الإسلام في التعامل معها، ولا يلتفت إلى ما يقوله المجتمع عنه مادحهم وذامهم فإن الأحوال تتقلب، والفرص تتجدد، والوسائل تختلف، وبقدر ما يكون الداعية مخلص في دعوته يكتب له من القبول بين الناس، فعلى الداعية أن يعيش متغيرات عصره متمسكاً بثوابته، مستفيداً من متغيراته مخالطاً لأهل زمانه في أفراحهم وأتراحهم، فالمبادئ ثابته والوسائل متحددة، ومتى ما علم الله صدق الداعية، وفقه وسدده وفتح له فتوحاً ربانية لا يقادر قدرها الا الله، لأنه بدعوته إلى الله تعالى يعد أحسن الناس قولاً.. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [١٠٣].

[١٠٢] - انظر: المحصول (٢٧٩/٣)، وقواطع الأدلة في الأصول (٢٩٥/١)، إرشاد الفحول (٢٩٤/١) وغيرها.
[١٠٣] - سورة فصلت (آية:٣٣)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد.

جرت عادة الباحثين في العرف الأكاديمي أن يحرروا خاتمة لبحوثهم يبرزون فيها أهم النتائج التي توصلوا إليها يتبعونها بالتوصيات، وحرِياً على عرفهم يأتي في الأسطر التالية أبرز النتائج وأهم التوصيات في هذا البحث:

أولاً: النتائج:

١- حث الإسلام الحنيف على اقتناص فرص الحياة بكل نافع ومفيد، وقد تظاهرت نصوص الوحي على ذلك.

٢- يطلق مصطلح اقتناص الفرص ويراد به سرعة الاستفادة من الفرصة وفق المبادئ المنظمة لها، بينما الانتهاز يقوم على استغلال الظروف لتأمين المصالح الشخصية ولو اقتضى ذلك التساهل في المبادئ.

٣- إن صحة الأبدان والسلامة في الأوطان وأمنها من الفتن، وامتلاك ما يقيم أود الحياة من المال، مقومات حقيقية لاغتنام فرص الحياة في بناء الدنيا والآخرة وفق مراد الله تعالى.

٤- يحذَّر الإسلام الحنيف من تفويت فرص الحياة، ومن العواقب المترتبة على ذلك ، وأن الصحة والفراغ والغنى والشباب والحياة، فرص لا تعوض إذا ذهبت.

٥- نجاح الإنسان في الحياة مرتبط باستغلاله الفرص المتاحة وصناعتها، فالناجحون هم من يصنعون الفرص، وينفقون نفائس أنفاسهم في صناعتها والاستفادة منها بما يعمر الدنيا والآخرة.

٦- فرص الحياة كثيرة منها ما هو في القرب والطاعات، ومنها في بناء الأوطان وتنمية المجتمع، وكلٌ ميسر لما خلق له.

ثانياُ: التوصيات:

١- على الأفراد والمجتمعات التحلي بروح اليقظة التي تعنى بمعالجة الخلل والقصور الذي يعتورها فالفرص تذهب والوقت لا يعود.

٢- يحرص الفرد على أن لا تكون أهدافه في الحياة هزيلة، فيقضي عمره بين المتع واللذائذ، فتفوته مواسم الخيرات فلا يغتنمها.

٣- ينبغي على القائمين في مجال الدعوة إلى الله تعالى استغلال الفرص والمناسبات والمواسم الإيمانية، حيث تقبل القلوب على الله تعالى، ليسمعوا الناس الحق وتبرأ بذلك ذمتهم وعهدتهم ويقطع العذر عن المجتمع.

٤- العمر هو رأس مال الإنسان الذي ينفق منه، والفطن من يحافظ على رأس ماله إلى آخر لحظات العمر فلا يقول ولا يفعل إلا ما يرجوا ثوابه عند الله تعالى.

٥- الآثار في السنة النبوية كثيرة تدل على فضيلة اغتنام الفرص في الحياة في جميع مجالاتها، وما ورد في هذا البحث هو بعض النماذج واشباعها هو بحاجة إلى أن تناله عناية الباحثين.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- أدب الدنيا والدين – علي بن محمد الماوردي – موقع الإسلام – عبر شبكة الانترنت.
٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول – محمد بن علي الشوكاني – ط (١) – ١٩٩٢م.
٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين الشنقيطي – تحقيق مكتب البحوث والدراسات – دار الفكر للطباعة – بيروت – ١٩٩٥م.
٥- اقتضاء العلم العمل – أحمد بن علي البغدادي – المكتب الإسلامي – بيروت – ط (٤) – ١٣٩٧هـ.
٦- أيسر التفاسير – أسعد حومد – موقع شبكة الانترنت.
٧- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – محمد بن عبدالرحمن المباركفوري – الكتب العلمية – بيروت – ط (بدون).
٨- تفسير البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي – تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض – دار الكتب العليمة – بيروت – ط (١) – ٢٠٠١م.
٩- تفسير السمرقندي – (بحر العلوم) – نصر بن أبو الليث السمرقندي – تحقيق محمود مطرحي – دار الفكر بيروت – ط (بدون).
١٠- تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي – دار الفكر بيروت – ١٤٠١هـ.
١١- التوقيف على مهمات التعاريف - محمد عبدالرؤوف المناوي – تحقيق محمد رضوان الداية – دار الفكر – بيروت ط (١) – ١٤١٠هـ.
١٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان "تفسير السعدي" عبدالرحمن بن ناصر السعدي – تحقيق ابن عثيمين - مؤسسته الرسالة – بيروت – ط (١) – ٢٠٠٠م.

١٣- الجامع الصحيح "سنن الترمذي" محمد بن عيسى الترمذي السلمي – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار إحياء التراث العربي بيروت – ط (بدون).
١٤- الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) – محمد بن إسماعيل البخاري – تحقيق مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير – اليمامة – ط (٣) ١٩٨٧م.
١٥- حاشية السندي على ابن ماجة – نور الدين بن عبدالهادي السندي – المطبوعات الإسلامية – حلب – ط (٢) ١٩٨٦م.
١٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – أبو نعيم الأصفهاني – دار الكتاب العربي – بيروت – ط (٤) – ١٤٠٥هـ.
١٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور – عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي – دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣م.
١٨- ذيل طبقات الحفاظ – جلال الدين السيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط (١).
١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – أبو الثناء الألوسي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط (بدون).
٢٠- سنن ابن ماجة – محمد بن يزيد القزويني – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي – دار الفكر – بيروت – ط (بدون).
٢١- سنن أبي داوود – سليمان بن الأشعث السجستاني – تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد – دار الفكر – بيروت – ط (بدون).
٢٢- سنن البيهقي الصغرى – أحمد بن الحسين البيهقي – تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي – مكتبة الدار – المدينة المنورة – ط (١) – ١٩٨٩م.
٢٣- سير أعلام النبلاء – محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – مؤسسة الرسالة - بيروت – ط (٩) – ١٤١٣هـ.
٢٤- صحيح ابن حبان – محمد بن حبان البستي – تحقيق شعيب الأرناووط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط (٢) – ١٩٩٣م.

٢٥- صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج النيسابوري – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي – دار احياء التراث – بيروت – ط (بدون).
٢٦- صحيح مسلم بشرح النووي – أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – دار احياء التراث – بيروت – ط (٢) – ١٣٩٢هـ.
٢٧- فتح الباري – شرح صحيح البخاري – احمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق محب الدين الخطيب – دار المعرفة – بيروت – ط (بدون).
٢٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – محمد بن علي الشوكاني – دار الفكر – بيروت – ط (بدون).
٢٩- فيض الباري في شرح صحيح البخاري – الكشميري – ط (١) – ١٣٥٢هـ - مكتبة مشكاة الإسلامية.
٣٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير – عبدالرؤوف المناوي – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ط (١) – ١٣٥٦هـ.
٣١- قواطع الأدلة في الأصول – أبو المظفر السمعاني – دار الكتب العلمية – بيروت – ط (١) – ١٩٩٧م.
٣٢- الكافي – للإمام الكليني – موقع الانترنت.
٣٣- لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي – دار صادر – بيروت – ط (١).
٣٤- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - أبو القاسم الأصفهاني – تحقيق عمر الطباع – دار القلم – بيروت – ط (بدون) ١٩٩٩م.
٣٥- المحصول في علم الأصول – محمد عمر الرازي – جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض – ط (١) – ١٤٠٠هـ.
٣٦- مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر الرازي – تحقيق محمود خاطر – مكتبة لبنان ناشرون – ط (١) – ١٩٩٥م.
٣٧- المستدرك على الصحيحين – محمد بن عبدالله الحاكم – تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا – دار الكتب العلمية بيروت – ط (١) – ١٩٩٠م.

٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل – أبو عبدالله الشيباني – مؤسسة قرطبة – مصر – ط (بدون).
٣٩- مسند الشهاب – محمد بن سلامة القضاعي – تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط (٢) – ١٩٨٦م.
٤٠- معجم مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان – ط ٢، ١٩٩٩م.
٤١- معارج القبول لشرح سلم الوصول إلى علم الأصول – حافظ أحمد حكمي – تحقيق عمر حمود أبو عمر – دار ابن القيم – الدمام – ط (١) – ١٩٩٠م.
٤٢- المعجم الأوسط – سليمان بن أحمد الطبراني – دار الحرمين – القاهرة – ط (١) – ١٤١٥هـ.
٤٣- معجم اللغة العربية المعاصر – مجموعة من المؤلفين – منشور عبر شبكة الانترنت.
٤٤- المعجم الوسيط – مجموعة من المؤلفين – تحقيق مجمع اللغة العربية – دار الدعوة – القاهرة – ط (بدون).
٤٥- مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار – عبدالعزيز السلمان – ط (بدون).
٤٦- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم – أحمد بن عمر الانصاري القرطبي – الفكر الإسلامي – بيروت – ط (بدون).
٤٧- الوابل الصيب من الكلم الطيب – محمد بن أبي بكر الزراعي الدمشقي – دار الكتاب العربي – بيروت – ط (١) – ١٩٨٥م.